تحرير – وتطهير – وتعمير

بقلم:فكرى أباظة

ليس لنا من تعليق طويل على زيادة "الدكتور كيسنجر" ولا علـى نتـائج "اليـوم ونصف اليوم" اللذين أمضاهما فى القاهرة : أن القرارات الخمسة أو الستة أو ما عبروا عنه بالنقاط الخمس أو الست ما هى إلا "إجراءات" عالجت أوضاع "وقف إطلاق النار" وليس من المبالغة فى القول إننا خرجنا من هذه المباحثات بنتيجة هامـة هـى "إلـزام إسرائيل" بأن تعود منصاعة إلى نفس الوضع فى يوم 22 أكتوبر 1973 وسواء أرضيت إسرائيل بهذا رضاء تاماً أو لم ترض به سواء حاولت أن تعدل أو تبحث عن تفسير أو شرح من الولايات المتحدة فهذا لا يغير قليلاً أو كثيـراً مـن أنهـا أرغمـت "علـى التراجع"....

وخلاصة ما نراه أن هذه بداية إجرائية عمرها قصير فإن نجح وهيأت لمـؤتمر مباحثات السلام كان بها، وأن لم تفلح فإننا على أتم استعداد "للمعركة الخامسة"....

عندما يتتبع "الصحفى" أو المؤرخ المراحل العديدة العجيبة التى قطعهـا رئـيس هذه الأمة، وقائد جيشها الأعلى من مرحلة تجديد الاتحاد الاشتراكى وتجديـد مجلـس الشعب وأثبت 14 ، 15 مايو إلى سيادة القانون – ودولة المؤسسات – إلـى الدسـتور الدائم إلى ورقة العمل لا عن المستقبل القريب وإنما عن المستقبل البعيد ... عندما يتتبع الصحفى أو المؤرخ كل هذه "السرعة" فى تصحيح الأوضاع إلى يوم "6 أكتوبر 1973" الخالد لا يمكن أن ينسى أو تفوته "ميزة" أخرى لها حيويتها وأهميتها وهى أن الرئيس – يفضل الله سبحانه وتعالى – يتمتع بميزة أخرى هى ميزة "بعد النظر".

1- سواء كان "السلام" على مقربة منا فنحن مستعدون له، وسواء أكانت "الحـرب الخامسة" على مقربة منا فنحن مستعدون لها! ولكن – لا هذا ولا ذاك – يقينـاً عن "بعد النظر". وعن الإعداد –فوراً- على ما يجب علينا بعد السلام، أو بعـد الحرب، ذلك إن المرحلة الأولى هى مرحلة "التحرير" قد أعـد لهـا الـرئيس ووزراؤه ومعاونوه العدة من هذه "البداية" إلى النهاية المنتظرة.

2- من مراحل "بعد النظر" التى فاجأ بها الرئيس المستمعين لخطابه الأخير – بـل العالم أجمع أنه أعلن مرة باتخاذ الإجراءات الفورية فى المرحلة الثانية وهـى مرحلة "التطهير" تطهير "قناة السويس" لتكـون صـالحة للملاحـة العالميـة – وللازدهار العالمى- وقد تولى بالفعل مشهور أحمد مشهور، الرجل الذى عاصر هذه القناة حتى أيامها العصبية والخير كل الخير بشـئونها وشـجونها وتتـرك الإجراءات التى يعدها للتنفيذ إلى أن نعود إليها.

- بتوسع – بعد أن نقطع مراحلها الأولى ويعد أن تكتمل صلاحيتها لهـذه المدة القصيرة والعمل شاق ولكن يهونه أنه لا المصريون فقط هم الذين يهمهم هذا الإنجاز ولا العرب فقط وفى مقدمتهم دول إنتـاج البتـرول العربى فقط هم الذين مهمهم ويفيدهم، هذا الإنجاح وإنما الدول الأوربية الغربية التى عانت من إغلاق القناة ما عانت، ومـن ارتفـاع الأسـعار بسبب اللاف والدوران حول رأس الرجاء الصالح ما عانت...

3- ومفاجأة أخرى من مفاجأة "التعمير" : تعمير سيناء وتعمير مدن القناة ومنها مـا يشرف على البحر الأبيض وما يشرف على القناة نفسها وما يشرف على البحر الأحمر وفى مقدمتها بورسعيد والإسماعيلية والسويس... كانت المفاجأة مفاجـأة منه وكان أول من تلقى هذه المفاجأة هو الرجل الموفق فى جميع أعماله والذى انشأ المقاولين العرب : "عثمان أحمد عثمان" ومن محاسن الصدف فى الاختيار أنه من أبناء العريش –أى من أبناء سيناء- وهو من أبرز العاملين زمناً طويلاً فى مدينة الإسماعيلية والسويس والمهمة مهمة ثقة ومسئولية فى وقـت واحـد: "الثقة" التى يستحقها من رئيس الدولة "والمسئولية" التى يواجهها فى عمله الشاق على مساحة من الأرض واسعة وهى سيناء، وعلى مدن وموانئ كبيرة كانـت من أجهزة الرخاء لمصر والمصريين، وعمل التعمير لا يقتصر على الناحيتين فقط وإنما يمتد ويمتد على الطريق من قناة السويس إلى محافظة الشرقية حتـى يصل إلى القاهرة عاصمة الدولة ... والعجيب أن مهمته الكبرى لا تنتظـر ولا تؤجل وإنما تبدأ فوراً وتعجل والرجل الذى وقع عليه الاختيـار مـن قطاعـه

الخاص الناجح المتصل بالقطاع العام لن يقف "الروتين الحكومى" أمامه حجـر عشرة بل المقرر والمقدر أن يجتازه إلى حيث يستطيع أن ينشئ فـى "سـيناء" "مصانع" لاستخراج ثرواتها من المعادن والأسمنت والجبس إلى إنشاء "مساكن" للشباب الذى لا يجد المسكن الذى يؤسس به بيته الجديد، والذى يستقر فيه آمنـا مطمئناً يزاول عمله المجدى النافع فى عدة نواح من سيناء تتوافر فيها الراحة، ولا نقول من عندنا أن من بين المشروعات مد المياه الحلوة من الضفة الغربية لاستصلاح مئات آلاف الأفدنة الصالحة للزراعة فى الصـحراء والمسـتنقعات والتشييد الجديد للمدن والموانئ سيكون معتمداً على الحجر الصـلب لا علـى الطريقة التى لا تقاوم ما يمكن أن يتهددها من غارات مفاجئة إلى غير ذلك من الجديد – والتجديد الابتكار الذى ستعود إليه – مفصلاً – فى فرصة أخرى.....

فكرى أباظة

www.anwarsadat.org